Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعلق عبد الفتاح كليطو على غياب الصورة عند العرب القدامى قائلا : «إن أجدادنا لم تكن لهم وحوه»، ويفترض متسائلا: ألم يكن ولوج العرب إلى الحداثة (المعاصرة) قد تم، في جانب كبير منه، بفضل الصورة ؟ ثم مؤكدا أن هذه الصورة، وهو أمر ذو دلالة بالنسبة إليه، فرضت عليهم لحظة التقائهم بالآخر على وجه التحديد.

إنه يمهد بهذا للصورة التي هي، بدرجة ما ، كما يقول، موضوع أو بطل كتابه (تضارب الصُوَر) [1]. ويبدو أن المؤلف قصد إلى وضع النصوص /الصور في تتابع منتظم لتحصيل المعنى. فيما تنتمي القصص المحكية إلى مرحلة انتقال من الثقافة المبنية على النص إلى أخرى تحتفل بالصورة. يضاف إلى هذا أن القصص تنسج فيما بينها علاقات معينة من حيث بروز هذا الوجه أوذاك، هذه الشخصية أو تلك، على نحو ملموس من فصل إلى آخر.

ومع ذلك فإن المؤلف لا يخفي أن بعض الفصول «لها طابع شخصي، بل وأوطوبيوغرافي» كما يقول، فهو لا ينفيها (ينكرها) ولكنه لا يتقلد وزرها في نفس الوقت. ثم نجد عبد الفتاح كليطو، الذي يتماهي تدرجيا مع النصوص المحببة إليه معتقدا أنها كتبت من أجله، في حال من الوداعة يقول : سأكون مسروراً لو أن قارئ هذا الكتاب (كتابه) عثر على نفسه (يعني : صورته) في هذا النثر السردي، وأن يقبل على هذه القصص بشعور كما لو أنه استطاع كتابتها، وأن يقرأها كما لو أنه كتبها بنفسه.

ألا يمكن أن نرى في الإقرار بغياب الصورة ذريعة لإبراز الذات (أنا أو عبد الله...)، أي أن يتحول المسار الفردي أيضا، من خلال ذاكرته الحافظة حتى وهي تنتقي مشاهدها الأثيرة، إلى محكي يتتالى فيه السرد قصد بناء مركب من الصور الدالة على السيرورة والرامزة إلى أبعادها الذهنية والسلوكية والنفسية وسوى ذلك، مهما كانت طبيعة المفارقات التي تكتسيها في النص؟. إن الكائن (الشخص) المفهوم كشخصية في النص ليس هوية مختلفة عن «تجاربه»، بل بالعكس إنه يقتسم معها نظام الهوية الدينامية الخاصة بالقصة المحكية كما يقول بول ريكور[2]. وهكذا يغدو إنتاج الصور وشخصنتها كناية عن بناء الصورة الشخصية من خلال تكثيف اللحظات والمواقف والمشاهدات المترسبة. ألا يمكن اعتبار السيرة الذاتية، في نهاية الأمر، بناء لغويا للصورة الشخصية ؟.

---

1 - منشورات (إيديف)، نوفمبر 1995، الدار البيضاء، المغرب، 143 ص.

2 - Soi-même comme un autre, op. cit. p. 175.